

إيغذم ... الكفاح والمنفى

في أعلى التل " أقر حمانه " المطل على " إيغذم " القرية الصغيرة الرابضة في وسط الغابة بين قنرات وأورير أو علمي، كان الطفل بوحو (عباس وعلي) الذي لم يتجاوز سبع سنوات من عمره يسرع الخطى بقدمين حافيتين، وجذع محدودب وشعر منفوش تعبت به الرياح، كان يصرخ بأعلى صوته: " غدا سنقوم القيامة يا أهل القرية !! حضروا أنفسكم فالنهاية قريبة !! " .

في هذه الظهيرة من العام 1957 لم يكن الناس المشغولون بأعمال الفلاحة في حقولهم يعيرون للطفل أي انتباه، ولم يردّ عليه سوى الحاج لخضر (باحمد لخضر) الذي كان واقفاً عند باب منزله، قال له بابتسامة تعلو شفثيه: " اسكت يا ذا المخاط ! أهذا كل ما تتمناه لنا مع كل هذه الحياة القاسية والعساكر الفرنسيون وراء ظهورنا ! "

كان محقاً، فالحياة كانت بانسة في إيغذم القرية المنعزلة المتكونة من بضع عشرات من الأنفس يشكلون العائلة الكبيرة " باحمد " والذين يعيشون مما يستخلصونه بقوة سواعدهم من هذه الأرض. ولم يكن أحد يعلم أن الأيام القادمة لن تكون أبداً كسابقاتها. ففي فجر اليوم التالي وبينما خرج الحاج لخضر ليتوضأ لصلاة الفجر لمح أشباحاً متسللة في أعلى قمة التل على بعد بضع مئات من الأمتار منه، وبالكاد ميز أصحابها.

ومع خيوط النور الأولى التي انتشرت، انسل الحاج لخضر بين الأدغال إلى المنزل وجلاً ، وأيقظ رجال ونساء وأطفال الدار قائلاً: " العساكر هنا ! إنهم يحاصرون القرية " وأمر الأطفال والمراهقين بالاختباء، والرجال بالفرار، فالجيش الفرنسي لن تأخذه أية رحمة أو شفقة .

وفي الحقيقة فقد كان الشيخ يعرف أنه في المساء الذي سبق ذلك اليوم قد أقامت مجموعة من المجاهدين في منزل على حافة الغابة، وقد تناولوا طعامهم وأقاموا فترة للراحة كما كانوا يفعلون مرات عديدة في هذا المكان الذي يمثل قاعدة خلفية للدعم اللوجيستيكي لهم. وقد كانت هذه المجموعة قد اشتبكت مع فرقة من المظليين في اليوم السابق في مكان غير بعيد، في

وادي " إيث حالة ". وأثناء هذه المعركة، وعند انسحاب المجاهدين فقد واحد منهم ملقمتا بندقية رشاشة، فأمره قائده أن يسترجعها مهما كان الثمن. وأطاع الجندي المسكين الأمر وراح فوراً يبحث عن الملقمتا، وقد استغرق كامل يومه في تمشيط مكان الاشتباك دون أن يفلح، وعندما يئس من ذلك، وخوفاً منه من العقاب من طرف قائده قرر أن يسلم نفسه للعدو بأسلحته وحمولته، وقدم لهم معلومات أدت إلى تطويق القرية أولاً من طرف العساكر الفرنسيين، وملاحقة المجموعة التي انتقلت من البيت المذكور إلى المنخفضات جهة وادي " إيث حالة " .

كانت الشمس في كبد السماء عندما طوق العساكر القرية من جهاتها الأربع. قاموا بتجميع الرجال الذين لم يتمكنوا من الفرار. وفجأة مزقت السكون طلقات نارية من أسلحة آلية كان يأتي صداها من الوادي : وجدت مجموعة المجاهدين نفسها وجها لوجه مع مجموعة من المظليين قادمة من " إيث حافظ " واشتبكت المجموعتان في مكان غير بعيد عن الوادي، كانت المعركة شرسة، وقد قام العساكر المتواجدون بالقرية بدعم زملائهم في أسفل الوادي.

في هذه الأثناء، كان الطفلان سعيد (سعيد وعلي) وابن عمه مولود (مولود باحمد) مختبئين في معلف المواشي داخل أحد الاسطبلات واستغلا فرصة غياب العساكر عن القرية وقاما بالخروج من مخبئهما والفرار... عندما وصلا قرب آخر منزل في القرية ألفيا الصالح (باحمد صالح) جالسا عند باب المنزل، فقال له سعيد : " ماذا تفعل هنا؟! ماذا تنتظر كي تهرب؟! ". صالح الذي كان سانجاء، أو ربما هو القدر هو الذي كان يناديه، رد قائلاً: " لقد طلبوا مني (العساكر) أن أبقى هنا ولا أتحرك من مكاني " ... أطلق الطفلان ساقيهما للريح، وانطلقا يعدوان إلى وجهة مجهولة، قطعاً كيلومترات عديدة عبر الجبال والوديان إلى أن أوقفهما صوت خافت قادم من مكان كثيف الشجر، كان الصوت لوالد أحد الطفلين مع مجموعة من المجاهدين كانت تراقب ما يحدث في القرية. (كان فيهم مولود وعلي ومولود بلوشات) .

في المساء عند المغيب، صعد العساكر الفرنسيون إلى القرية بعد معركة شرسة ترك فيها المجاهدون ثمانية شهداء، فوجدوا صالحاً جالساً في المكان نفسه فأخذوه معهم، وفي طريقهم على بعد مئات الأمتار من المنازل صادفوا الهادي (باحمد الهادي) الذي فوجئ بهم، فقاموا

بإعدامه بدم بارد ومن مسافة قريبة. وفعلوا الشيء نفسه مع صالح بعد ساروا مسافة أخرى في المكان المسمى " تاخروبت " . كما أخذوا معهم العياشي (باحمد العياشي) الذي أعدموه هو الآخر والذي لم تعثر عائلته على قبره أو جثته أبدا . في هذا المكان أقامت عائلة باحمد نصبا تذكاريًا يستحضر ذكرى هؤلاء الشهداء وكل الشهداء الآخرين.

ابتداء من هذه السنة 1957 أمر الجيش الاستعماري بإخلاء قرية " إيغدم " التي أصبحت مهجورة لفترة وجيزة قبل أن يقوم الجيش الفرنسي بتدميرها. في يومنا هذا لم يبق من المنازل إلا أطلال، ولكن ألا يقولون إن للأطلال ألوانا أيضا؟ ...

وهكذا غادر آل باحمد إيغدم إلى الأبد، غادروها بقلوب منقطرة و أرواح مدماة، ومعهم متاعهم ورجالهم. بعضهم استقر في قنزات، وبعضهم الآخر في سطيف، حيث يملكون بيوتا وممتلكات.

آل باحمد الذين كانوا يعيشون في إيغدم في ذلك الوقت :

Les Bahmed qui vivait à " Ighdem " ce temps là

*Bahmed Lakhder époux Issaoune Yamina

-Bahmed Abdelkader, époux de Bahmed Khadîdja

-Bahmed Mustapha né en 1950/2013

-Bahmed Nacer né en 1955

-Bahmed Hachemi époux Messaoud Aicha

-Bahmed Mouloud

-Bahmed Khaled

-Bahmed Aldjia épouse (1920) Ouali Mouloud (chahid) (1911/1959)

-Ouali Saïd né en 1941

-Ouali yahia né en 1947

-Ouali abbés né en 1950

-Ouali Boubekeur né en 1952

- Bahmed Fatima épouse Bahmed Ali
- Bahmed Nora
- Bahmed Daoud né en 1947
- Bahmed Idris né en 1952
- Bahmed Lila née en 1955
- Bahmed Djamila (1941/2014) épouse Bouchemla Med zine
- Bahmed Tama épouse Bahmed Belkacem
- Bahmed fodil
- Bahmed ounissa
- bahmed layachi (chahid)
- *Bahmed Slimane époux de Belgaras zahra
- Bahmed Akli époux Belaid baya
- Bahmed zoubir né en 1952
- Bahmed zine
- Bahmed Mabrouk
- Bahmed Taous
- Bahmed Ouali
- Bahmed Yahia né en 1945
- Bahmed Khedidja
- Bahmed Kholfa
- *Bahmed Mohand chérif dit Saïd époux de Imma Toutou
- Bahmed l'hadi(chahid) époux Bahmed tata
- Bahmed Saadi
- Bahmed Salah époux Zaba t'menquache
- Bahmed Rabie

-Bahmed Ramdane
-Bahmed Meziane
-bahmed Messaoud (chahid)
-bahmed Bachir
*Bahmed Mokrane
*Bahmed Rabah époux de Cheragui Daouia
-Bahmed Belkacem
-Bahmed Smail
-Bahmed Boubekour
-Bahmed Nadir
-Bahmed Youcef
-Bahmed Khlifa
-Bahmed el Amria
*Bahmed Tahar epoux Belaid Messaouda
-Bahmed Mahfoud
-Bahmed Mohamed
-Bahmed noureddine
-Bahmed Arezki
-Bahmed H' mana
*Bahmed Mahmoud époux Kerma Mebarka
*Bahmed Amar
Bahmed abdelkrim
Bahmed abdelhakim